سلسلة حياة
الرسول وأهل بيته (ص)

الإمام
سيّد الشهداء الحسين (ع)



دار المحجة البيضاء

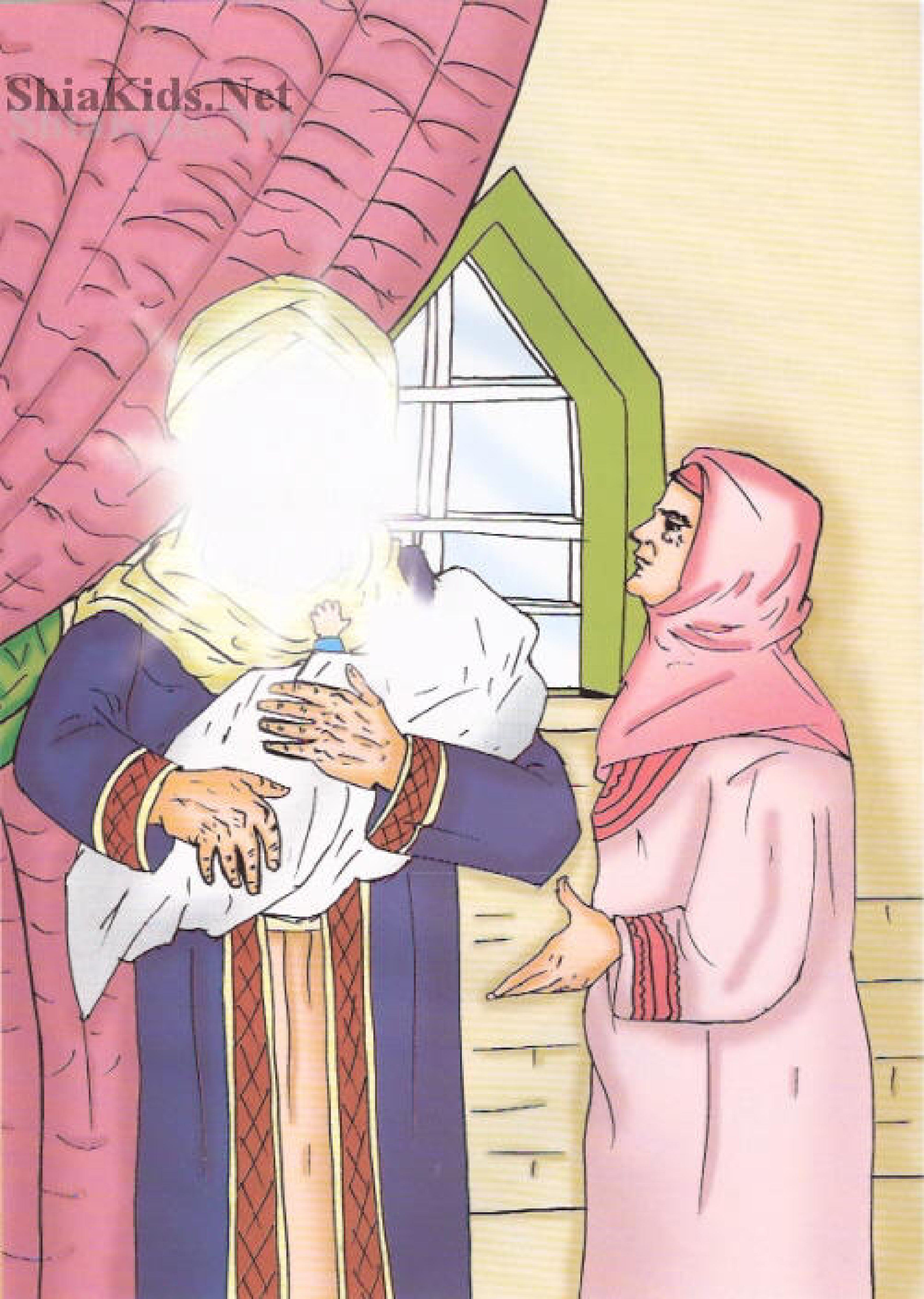
يوم ٣ شعبان عام ٤ للهجرة لم يكن يوماً كباقي أيام الله. ففي بيتٍ صغيرٍ ومتواضعٍ من بيوتِ المدينةِ، أطلقَ وليدٌ جديدٌ صرختَهُ العذبةَ معلناً عن وجودِهِ في هذا العالم. فتحَ عينيهِ الجميلتينِ فرأى أمّاً يُشرقُ وجهُها سعادةً. وأباً يُكثرُ من أدعيةِ الشكرِ والعرفانِ لله الذي أسبغَ بنعمتِهِ عليهِ بولادةِ ابنٍ ثانٍ.

كانَ طفلاً جميلاً وعذباً . يَشعُّ سحراً ويتألّقُ بهاءاً ويتلألأُ كشعاعِ شمسٍ على صفحةِ ماء.

نظرَتْ أمُّهُ إليهِ مُستبشرةً خيراً بمولدِهِ، وقد نسيت آلامَ وأوجاعَ الولادةِ، وشكرَتْ الله على ما مَنَّ عليها من نِعْمَةٍ وافرةٍ.

نادَتْ على امرأةِ عمِّها:

ـ « يا أمَّ الفضلِ، احمليهِ إلى أبي ليشاركني فرحتي ويمنحهُ بركتَه» .



ShiaKids.Net

أصبحَ بيتُ علي وفاطمة (عليهما السلام) أسعدُ بيتٍ في المدينة. فها هو الأبُ المحبُ ورغمَ مشاغلِ الرزقِ وخوضِ المعاركِ وانهماكهِ مع الرسول (ص) في تسييرِ أمورِ الدولةِ الجديدةِ يعودُ إلى بيتهِ بلهفةٍ لرؤيةِ ولديهِ الصغيرانِ يلعبانِ ويملأنِ البيتَ صخباً ومرحاً ويشيعانِ فيهِ سعادةً لا توصف. وزوجتهُ الحبيبةُ تشاركُ ولديها ضحكاتهما الجذلة.

وكان جدُهما لا يفارقُهما أبداً. فما أن يدخلَ البيت حتّى يقول:

ـ «أينَ وَلَدَايَ.. هاتوا لي وَلَدَيّ».

فيهرعانِ إليهِ ويتعلقانِ بعنقهِ فرحينَ بمقدمِ جدّهما العطوف. كان يحملُهما معهُ أينما ذهبَ وهو يقولُ للنّاس:

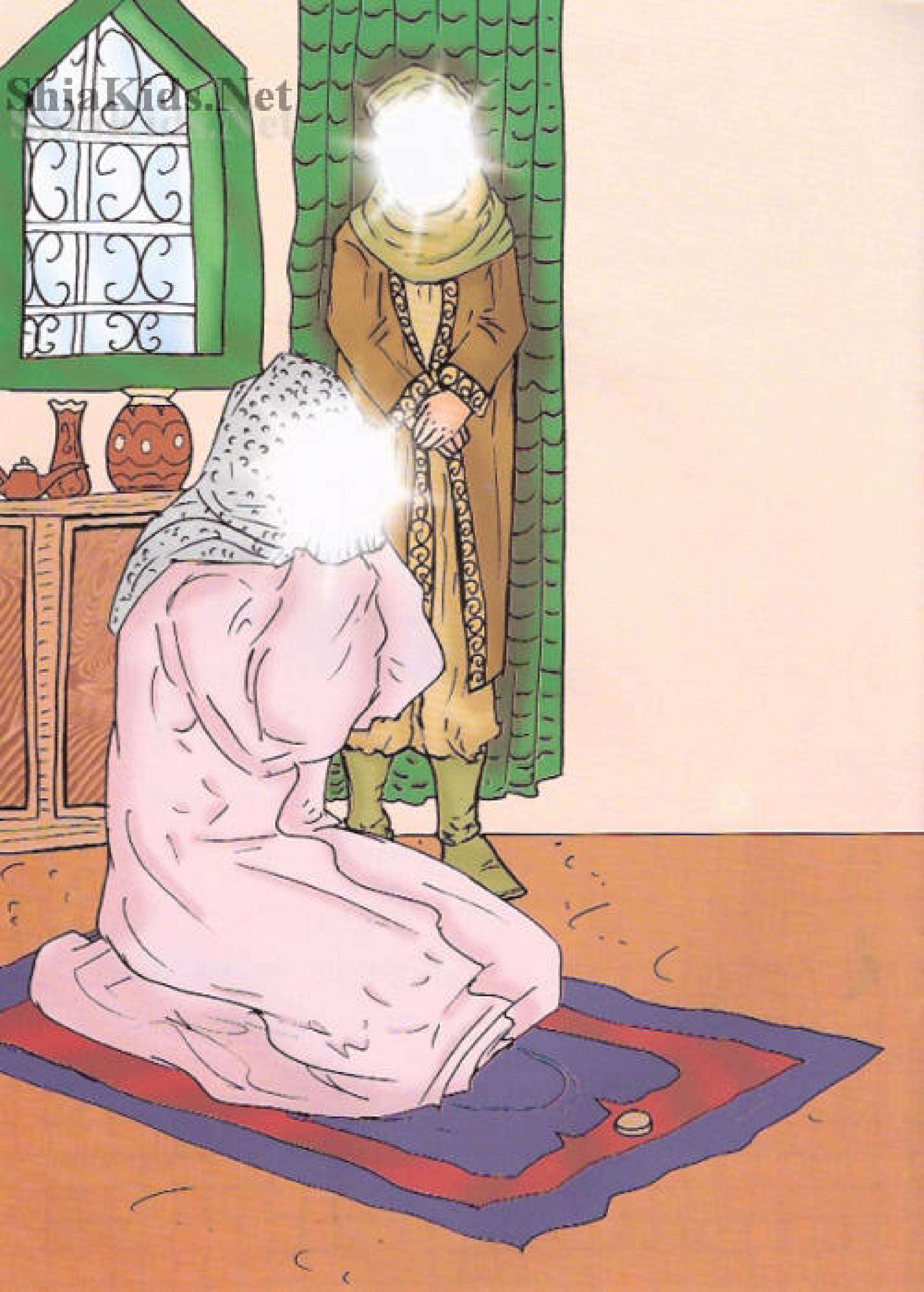
ـ «وَلَدَايَ هَذَانِ سيّدَا شبابِ أهلِ الجنّة».

ويقولُ أيضاً للحاضرين:

ـ «وَلَدَايَ إمامانِ، إنْ قاما وإنْ قعدَا».

وكثيراً ما رآهُ النّاسُ وهو يُقَبِّلُ فَمَ الحسنِ (ع). ويقبّلُ الحسينَ (ع) من نحرِهِ. فأحبوهُم النّاسُ ورفعوا من شأنهما وهُمْ صغيرين لمّا علِموا من منزلتِهم ولقربهم من رسولِ الله (ص).

لكنَّ أيامَ الصفوِ والمسرّةِ تلكَ لَمْ تدمْ طويلاً. فقد تُوفّي جدّهما العطوف، وانصرفَ النّاسَ عن أبيهما وتناسوا وصيّةَ النّبي (ص).

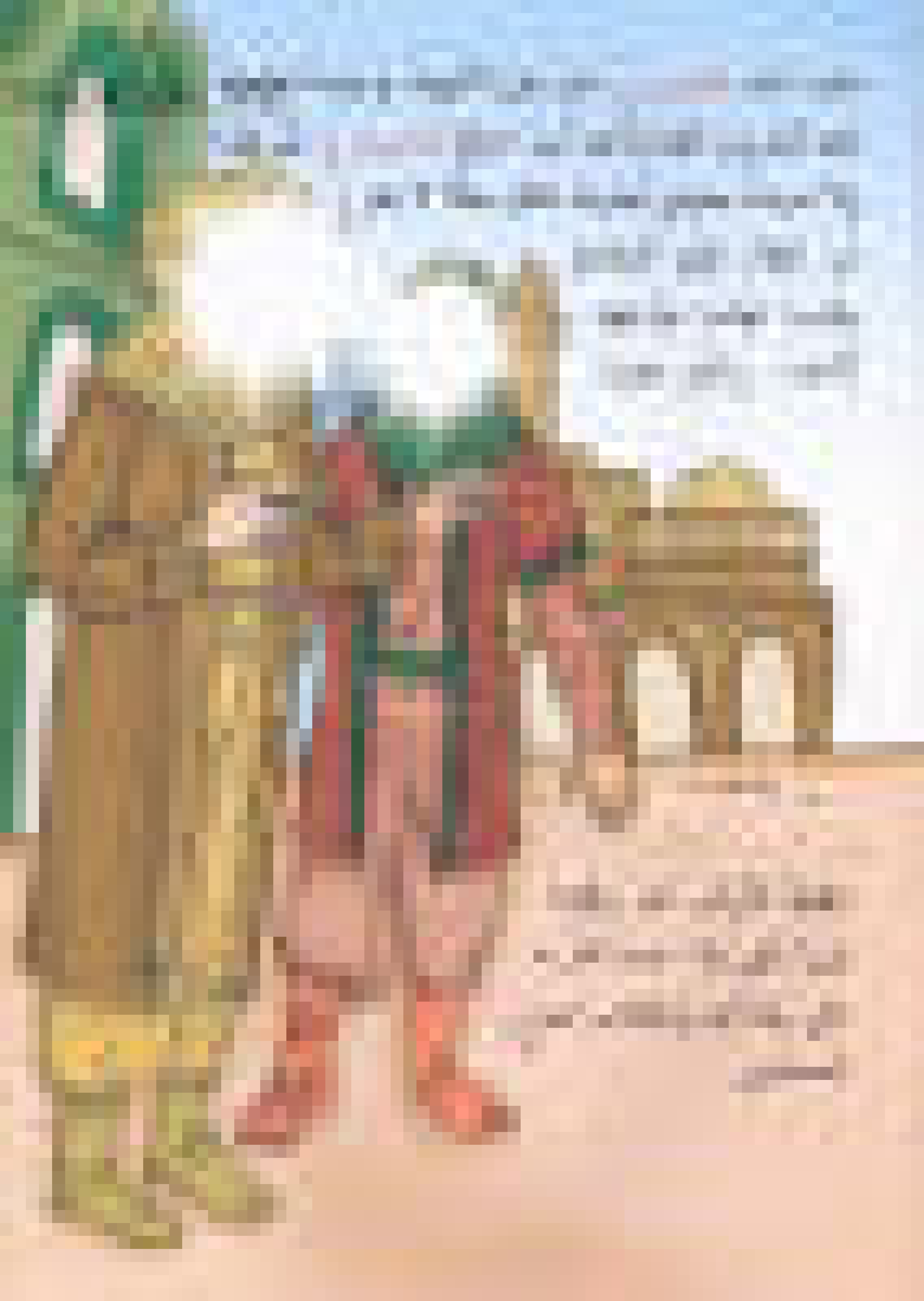


ارتحلَتْ السعادةُ عن البيتِ المفجوعِ وسكنَهُ الحُزن. كانا يُشهدانِ أبيهما وهو غيرُ مصدقٍ من تلكَ المعاملةِ الخشنةِ والفظّةِ التي يُقابلُ فيها. وأمهما المسكينةُ لا تنفكَ تبكي أباها صباحَ مساءٍ، وتشكو غدرَ الآخرين. وساءَتْ الأمورُ بمرضِ أمهما الذي أخذَ يتضاعفُ بشكلٍ خطيرٍ. فاستسلَمتْ للحزنِ وما لبثَتْ أن فارقَتِ الحياة.

ومرّت الأعوامُ وكبُرَ الحسينُ(ع) وتزوّجَ وأنجبَ أبناءً كثيرين، ولكنّهُ لا يفتأ يتذكرُ أمّهُ. ضحكتُها الجميلة. كلماتُها التي تقطرُ حلاوةً وعذوبةً. ووجهُها المشرقُ أبداً بنورٍ سماويٍّ عجيب. وكان الألمُ يعصرُ فؤادَهُ عصراً وهو يتذكرُ رحليها المبكرِ وكيف تركَتهُم وهم صغاراً وبأحوجِ ما يكون إليها.

أصبحَ أبوهُما ملاذَهُما الأخيرُ المتبقي حيث غمرَهُما بمحبّتِهِ وعطفِهِ. مكرّساً جلّ وقتِهِ لتعليمهما علمَ الرسول(ص) الرباني ويُفصحَ لهما عن أمورِ الإمامةِ وأسرارِ الكونِ. فتربيا ونشأ على ذلك. وأصبحا مثلاً وقُبلةً للنّاسِ يُشارُ إليهما بالتقوى والفضيلةِ والمهابةِ والعلمِ ومكارمِ الأخلاق.

عندما تسلَّمَ أبيهِ مقاليدُ الحكمِ واستعادَ حقَّهُ الشرعيَّ الذي حُرمَ منه زمناً طويلاً ـ في قيادةِ هذهِ الأمةِ ـ كان الحسينُ(ع) إلى



وفي رمضان عام ٤٠ للهجرة فُجعَ الحسينُ (ع) كما فجعت الأمَّة بمقتلِ أبيه. وكان ذلك حدثاً جللاً اهتزّتْ لَهُ ضمائرُ أنصارِه واضطربَتْ فيه أركانُ الدينِ والدنيا.

نُقِلَ الإمام عليٌّ (ع) إلى بيته. ظَلَّ الحسينُ (ع) ملازماً لأبيهِ في لحظاتِه الأخيرةِ وهو ينازعُ الموتَ. وكان مِنْ أشدِّ المشاهدِ إيلاماً لديهِ أن يرى هذا الإمامَ الطاهرَ التقيَّ وهو معصوبَ الرأس، متقطِّعَ الأنفاسِ يوصيهم بتقوى الله ووجوبِ طاعةِ أخيهم الأكبر الحسنِ (ع) وينصُّ على إمامته.

لازمَ الحسينُ (ع) أخاهُ مستشاراً وقائداً. وشاهدَ عن قربٍ خيانةَ بعضِ قادةِ الجيشِ وغدرَ البعضِ الآخرِ فعاد إلى ذاكرتهِ غدرَ النّاس بأبيهِ وتخليهم عنهُ يومَ وفاةِ جدّه. وبعدَ التشاورِ مع الحسينِ (ع) وأصحابهِ أضطرُّ الحسنُ (ع) لعقدِ الصُّلحِ مع معاوية، وعادَ إلى المدينةِ كسيرَ الفؤادِ وكان الحسينُ (ع) ملازماً لَهُ لا يكادُ يفارقهُ لحظةً ليخفِّفَ قدرَ المستطاعِ من ألمهِ وحزنِه.

في المدينةِ امتلأَ قلبُ الحسينِ (ع) غيرةً وغضباً وهو يرى انحرافَ بنو أميّةَ عَن الدينِ وابتعادهم عن طريقِ الحقِّ. لكنَّهُ كان يكتمُ غضبَهُ حتّى يحينَ الأوانَ لينتفضَ بوجهِ الطغاةِ والمفسدين. وجاءت اللحظةُ حينما تولّى الفاسق (يزيد بن معاوية) الخلافة.


ShiaKids.Net

طلبَ يزيدُ من الحسين (ع) مبايعتَهُ فيمتنع الحسينُ وينتفض قائلاً:

ـ «مَنْ مثلي لا يُبايعُ مثلَه».

وكان يرى وحسبَ بنودِ معاهدةِ الصلحِ الذي أبرَمَهُ أخيهِ الحسن (ع) ومعاويةُ أحقيّتَهُ هو بالخلافة.

أدركَ الحسين (ع) أن بقائَهُ في المدينة باتَ يُشكّلُ خطراً على حياتهِ وسيمنحُ أعدائَهُ فرصةَ اغتيالهِ. فخرجَ ذاتَ ليلةٍ متوجهاً إلى مكة ومنها إلى الكوفة.

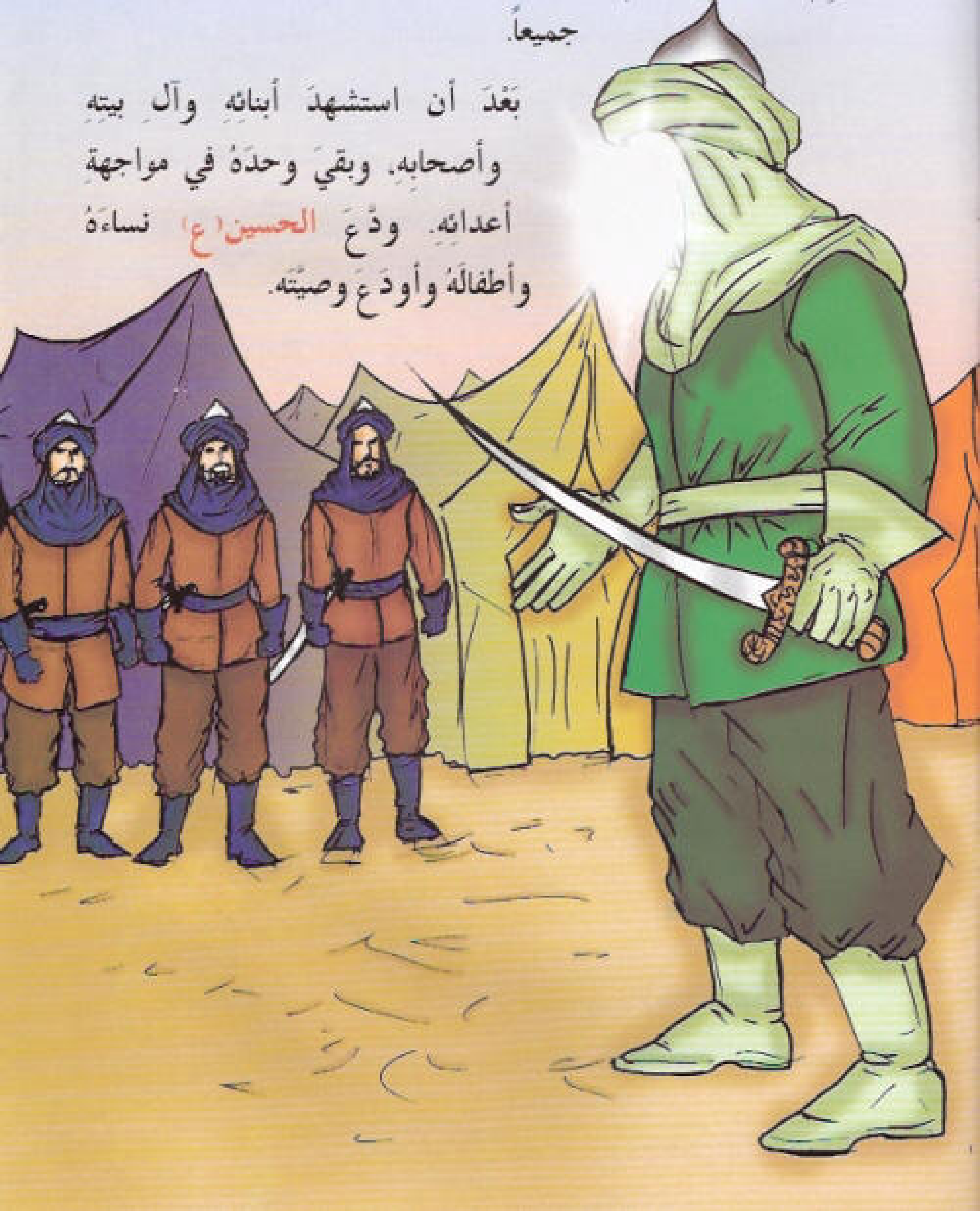
كان أهلُ الكوفة كغيرِهم من المسلمينَ في باقي مُدُنِ الإسلام. قد اكتوَوا بنارِ طغيانِ بنو أميّة واستنكروا شرورَهم وسفكهم للدماء.

كَتبَ الآلافَ منهُم إلى الحسين (ع) طالبينَ منهُ القدومَ ومناصرتَه في حربِهِ ضدَّ الأمويين. رُغمَ عدَمِ ثقتِه بهؤلاءِ وغدرهم بأبيهِ وأخيهِ لكن نداءَ الواجبِ كان يقتضي بإجابتهم. فخرجَ بأهلهِ وأصحابهِ باتجاهِ الكوفة. وعند اقترابه من الكوفة أحاطَ به الجيشُ الأمويُ وأرغموهُ على المسيرِ نحو كربلاءِ حيثُ دارَتْ معركةٌ داميةٌ يومِ العاشرِ من محرّم عام ٦١ هجرية.

كانت جيوشُ الأعداءِ تُعد بالآلافِ بينما عَدَدُ أصحابِ الحسين (ع) لا يتجاوزُ السبعينَ من بينهم تسعةُ عشرَ من آلِ بيته.

لكن ذلكَ لم يُلقِ الرعبَ في قلوبِهم فاندفعوا ببسالةٍ للقتالِ ليفتدوا إمامَهم بأرواحِهم الغاليةِ ودمائهم الزكيّةِ وقاتلوا بشجاعةٍ نادرةٍ حتى استشهدوا جميعاً.

بَعْدَ أن استشهدَ أبنائِه وآلِ بيتِه وأصحابِه. وبقيَ وحدَهُ في مواجهةِ أعدائِه. ودَّعَ **الحسين(ع)** نساءَهُ وأطفالَهُ وأودَعَ وصيّتَه.



تقدَمَ إلى ساحةِ المعركةِ قوياً صلباً. لم يوهنهُ استشهادُ أصحابه بل زادهُ قوةً وصلابةً. انقضَ كالليثِ على أعدائه ملقياً في نفوسهم الذُعرَ فسادَ الاضطرابُ في صفوفِهم وكانت الجندُ تفرُ من بين يديه ولم يجد أحدٌ في نفسهِ الجرأةَ والجسارةَ لمواجهته. فأمطروهُ بالسهام من كُلِّ جانبٍ فلم يَبْقَ موضعاً من جسدهِ إلا وأصيبَ. وأخيراً دبَّ في جسمهِ الضعفَ وأنهكهُ العطشُ فوقعَ أرضاً من الإعياءِ.

وعندها فقط تجرأَ البعضُ على الاقترابِ منه. ودونَ مراعاةٍ لحرمةٍ وبوحشيةٍ وقسوةٍ أقدمَ هؤلاءِ على فَصْلِ رأسِه عن جسدهِ الشريفِ.

كانَ مشهداً دامياً ومرعباً. حيثُ تناثرت أجسادُ الحسين(ع) وأصحابهِ في ساحةِ المعركةِ. بينما أوغلَ الطغاةُ في جريمتهم فاقتادوا نسائه وأطفالهِ سبايا إلى الكوفةِ.

وظنُوا مخطئين أن الحسين(ع) قد مات.

ولكنَّ الحسين(ع) لم يمتْ فهو ما زالَ حياً في قلوبِ المسلمين وهم يُحيُونَ يومَ الجريمةِ النكراءِ في كربلاء كُلَّ عامٍ ويبكونَهُ بقلوبٍ مفجوعةٍ. غاضبةٍ. ومقهورةٍ.

ماتَ الطغاةُ ورحلوا. لكنَّ الحسين بقي رمزاً لكلِّ الثائرينَ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ. مناراً يضيءُ الطريقَ. ومنهجاً مقدساً للجهاد

ومقارعةِ الطغاة. وبقيَ الطريقُ الوعرُ والطويلُ من المدينة إلى الكوفة. هو الطريق الوحيدُ لانتزاع الحرية.

فسلامٌ عليه يوم ولدَ ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

